

**نص رسالة**  
**الجواب الناطق بالصواب القاطع**  
**لعري الشك والارتياب**

٦٣ و / مما أجابَ به مولانا ومالكنا أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، الصادع بالحق المبين ، الحلِيم الأواه ، المؤيد بالله ، يحيى بن حمزة بن رسول الله ﷺ وعلى آله الأكرمين ، واحشرتنا بزمرته يا أرحم الراحمين .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله وحده ، وصلاته على <sup>(١)</sup> رسوله محمد ، وآله وسلامه ، الحمد لله الذى أنطق <sup>(٢)</sup> لسان البرهان بحاله فتفيانا فى ممدود ظلاله ، وكرعنا فى نعيم سلساله ، وأوردنا موارد النظر والهناء ، إلى حقائق عرفانه <sup>(٣)</sup> وخولنا <sup>(٤)</sup> من مزيد فضله ، وحبانا من كريم إحسانه ، وجعلنا هداة إلى الحق وعمده ، وقدوة لكافة الخلق .

والصلاة على الموضع للدلائل ، والفارق بضياء برهانه ، ونور فرقانه ، بين الحق والباطل ، وعلى آله الطيبين ، الهادين عن الضلال ، والمفرقين لأحزاب الكفر ، عن يمين وشمال .

وبعد ، فوردت علينا مسائل ، من جهة القاضى الأوحد ، العالم الأمجد ، بدر الدين قاضى أمير المؤمنين ، محمد بن أحمد ، أدام الله رعيه ، وشكر فى الصالحات سعيه ، فرأينا جوابها ، فرضاً واجباً ، وحتماً لازماً لازياً ، لما يتوجه من بذل الهداية لطالبها ، وإيضاح مناهج الحق لصاحبها ، ونحن نذكر فيها ، ما يشرح الله به صدره ، وينور به قلبه ، وإن كان بعضها لا يتعلق بالتكليف ، لكن الجواب متوجه بكل حال ، وإن صادف تراحم الأشغال ، فنقول وبالله التوفيق ، وعليه الاتكال .

\*\*\*

(١) توجد دوه زائدة فى الاصل .

(٢) فى الاصل : أنطق .

(٣) فى الاصل : عرفاته .

(٤) فى الاصل : حولنا .

## المسألة الأولى

### هل يريد الله إرادته؟

قال ، أيده الله : إذا كان الله عندكم ، يريد بإرادة محدثة ، فهل يجوز أن يريد الإرادة أم لا ؟

الجواب : إن أهل القبلة بالإضافة إلى خالقهم في الإرادة فريقان :-

الفريق الأول : المثبتون للإرادة ، فالأشعرية على كونه مريداً بإرادة قديمة ، والنجارية على إنه يريد بإرادة أزلية ، والمعتزلة البصرية والزيدية على أنه ، تعالى ، يريد بإرادة محدثة ، موجودة لا في محل ، ولم يذهب أحد من أهل القبلة ، إلى أنه يريد للذات ، وزعم هؤلاء أنه لا يريد إرادته ، أعنى المثبتين لها .

- أما المعتزلة فعندهم أن إرادته لها صحيحه ؛ لأجل حدوثها ، والإرادة تتعلقُ عندهم بكل حادث ؛ ولكنه لا يريدُها ، لما كانت تابعة لداعيه ، وهو إنما يريد الأفعال المقصودة .

- وأما على رأى الأشعرية والنجارية ، فهو إنما يريد الأمور الحادثة ، وإرادته .

٦٣ ظ / - إما قديمة وإما أزلية ، فتستحيل إرادتها لما كانت بلا أول .

٦٣ ظ / الفريق الثانى النافون للإرادة ، وهم معتزلة بغداد ، وإلى هذا ذهب الشيخان أبو الحسين . ومحمود الخوارزمي <sup>(١)</sup> والداعية عندهم كافية فى تحصيل الأفعال ، من غير حاجة إلى إرادة ، وهذا هو المختار عندنا ، فإن إرادته لفعله هو نفس الداعية إليه ، لما فيه من المصلحة ، وإرادته لفعال غيره ، إنما هو أمره وندبه إليه ، من غير أمر زائد ، فحاصل إرادته ، تعالى ، هو العلم فى حق أفعاله ، والأمر فى حق أفعال غيره ، وعلى هذا فإنه ، تعالى ، غير يريد إرادته عندهم ؛ لأنها ليست من قبيل الأفعال ، والداعى إنما يتعلق بالأفعال وكذلك الأمر .

(١) \* أبو الحسين البصرى (ت ٤٣٦ / ١٠٤٤) هو محمد بن على بن الطيب البصرى ، من أعيان المعتزلة ، ولد فى البصرة وسكن بغداد وتوفى بها ، قال الخطيب البغدادي : له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته . من كتبه : «المعتمد فى أصول الفقه» ، و«شرح الأصول الخمسة» وغيرهما .

انظر الزركلى : الاعلام ٦/ ٢٧٥ ، وأيضا تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠ ، والمنية والأمل ؛ ص ٧٠ .

\* هو محمود بن محمد الخوارزمي الملاحمى : صاحب كتاب «المعتمد الأكبر» عدّه ابن المرتضى من الطبقة الثانية عشرة من المعتزلة ، وأخذ برأيه كثيرا الرازى فى مصنّفاته .. انظر ابن المرتضى : كتاب طبقات المعتزلة ؛ ص ١١٩ .

## المسألة الثانية

### هل يعلم الله أنه يقدر؟

قال ، أيدهُ اللهُ : هل يجوز أن يعلم الله ، تعالى ، أنه يقدر ، أو يقدر أنه يعلم ؟

الجواب : إن إيراد السؤال ، فيه خلل فى العبارة ، ويدل على عدم الأنس بالمباحث الكلامية ، وحاصل الإيراد أن الله ، تعالى ، أنه يقدر أن يكون عالماً بقادريته ، أو يكون قادراً على معلومه .

والحق إنه عالم بقادريته ؛ لأنها من جملة المعلومات وعالم بمقدوراته ؛ لأن العالمية شاملة .

فأما إن الله ، تعالى ، هل يكون قادراً على معلومه ؟ ..

فإنه ينقسم الأمر فيها ، فما كان من معلوماته ممكن الحصول ، فهو قادر عليه ، فيخرجُ من هذا ذاته ؛ تعالى ؛ فإنه يعلمها ولا يقدر ، وهكذا مقدرات العبيد ، فإن فيها تردد بين العلماء ، فمنهم من قال : هو قادر عليها ، ومنهم من منع من ذلك ، والحق عندنا ، جواز كونه قادراً عليها .

بقى ها هنا بحث آخر ، وهو أن يقال : هل يكون قادراً على خلاف معلومه ؟

(أولاً : فعندنا - وهو رأى المعتزلة والزيدية - أنه تعالى قادر على خلاف معلومه .) <sup>(١)</sup> فإنه قادر على إقامة القيامة الآن ؛ وهى غير قائمة ، وهو قادر على خلق السواد فى الرومى ، والبياض فى الزنجى ، وهو خلاف معلومه .

وزعم عبَّادٌ <sup>(٢)</sup> من المعتزلة أنه يستحيل منه خلاف معلومه <sup>(٣)</sup> وهو رأى الأشعرية <sup>(٤)</sup> .

(١) زيادة من الهامش وتكملة .

(٢) هو أبو عمرو : معمر بن عباد السلمى . قال ابن المرتضى : كان عالماً عدلياً وتفرد بمذاهب ، ومن تلاميذه المعتمر وهشام بن عمرو وأبو الحسن المدائنى . حكى أن الرشيد وجه به إلى منك السنند لينظره ، وقيل أن هذا الملك دس له السم فى الطريق فمات ، توفى سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ . راجع خضف المقرئى ٢ / ٣٤٧ ، ولسان الميزان ٦ / ٢٧١ والمنية والأمل ، ص ٥٦ .

(٣) انظر ، الشهرستانى : الملل والنحل ١ / ٨٢ .

(٤) انظر ، الشهرستانى : نهاية الأقدام ، ص ٢١٥ وما بعدها .

## المسألة الثالثة

### فى استحالة المكان والزمان على الله

قال ، أيده الله : إذا كان الله كائناً ولا مكان ولا زمان ، فما كان الشيء قبل ذلك ؟ .. هذا إنما يقال لو سابق منك ...

والجواب : إن هذا خلل فى الإيراد ، فإن قولك <sup>(١)</sup> : فما كان الشيء قبل ذلك ؟ .. هذا إنما يقال لو سبق ميك ذكر الشيء ، ولم يسبق له ذكر .

فنقول : الله ، تعالى ؛ كائنٌ ، على معنى إنه موجودٌ وحاصلٌ ، لاعلى معنى أنه مستقرٌ فى جهة ولا مكان ، لاستحالتهمما عليه ؛ لأن ذلك من سمات الحوادث ، وهو ، تعالى ، قديم بلا أول ، ولا معنى لوصفه بالكون ، على جهة الاستقرار ؛ لاستحالته عليه .

قوله : ولا مكان ولا زمان ، كلامٌ جيدٌ ؛ لأن المكان والزمان حادثان ، فلا يجوز أن يكونا مصاحبين له فى الأزمنة الأزلية ، فتقدم ذاته ، تعالى ، وسبقه على الأزمنة والامكنة ، إنما يكون بلا نهاية .

ثم إن سبقه على الأزمنة لا بزمان ؛ لأن الزمان سابق على غيره من غير زمان ، فإذا تقدم الزمان على غيره من غير زمان ، والإلزام التسلسل ، جارٍ سبق القديم من غير زمان .

ثم إنه سابق على الامكنة ، وإن لم يكن فى غير زمان ، ثم إنه سابق على الامكنة ، وإن لم يكن فى مكان ، فإنه يعقل المكان من غير مكان ، فهكذا يعقل تقدم القديم من غير مكان أيضاً .

ثم إن الزمان قد يكون حقيقياً ، وهو عبارة عن حركة الفلك ، وقد يكون ٦٤ و / تقديرياً وهو الأزمنة الأزلية ، فإنها أمور (مقدرة غير وجودية ، وإنما هى أمور فرضية اعتبارية ، غير متحققة الوجود ، وعلى هذا نقول : إن تقدم القديم ، تعالى ، على الحوادث ، إنما يكون على جهة التقدير ، وهو أن لو

(١) فى الاصل : قول .

فرضنا حصول حوادث فى تلك<sup>(١)</sup> الأزمنة والامكنة المتوهمة ؛ لكانت بلا نهاية .

فإذا تقرر ما ذكرناه ، من حدوث الأزمنة والامكنة ، فتقدم القديم ، تعالى ، على سائر الحوادث ، من غير توهم زمان ولا مكان ، لامرين :-

أما الأول : فلأن ذاته ، تعالى ، معقولة من غير إشارة إلى زمان ولا مكان .

وأما ثانياً : فلأن الزمان سابق على غيره من غير زمان ، والمكان يعقل من غير مكان آخر ، فإذا جاز معقولهما ، من سبق لاحدهما بمثله تقديم القديم ، من غير<sup>(٢)</sup> توهم زمان ولا مكان .

ثم نقول : لآى شئ يفتقر القديم ، تعالى ، إلى الأزمنة والامكنة ، حتى لا يعقل وجوده إلا بهما<sup>(٣)</sup> ؟ فإن كانت حاجته إليها لذاته ، فهو باطل ؛ لأنها حادثة ، وذاته ، تعالى ، سابقه على الأزمنة والامكنة بلا<sup>(٤)</sup> نهاية ، فيستحيل حاجة القديم ، إلى الأمور الحادثة ، وإن كان حاجته إلى الأزمنة لشئ من لوازم ذاته ، فهو باطل أيضاً ؛ لأن تلك اللوازم ذاتية .

فلزم<sup>(٥)</sup> ما ألزمتنا ، من استحالة حاجة اللوازم الذاتية القديمة إلى الأمور الحادثة ، فحصل من مجموع ما ذكرناه ، أن القديم ، تعالى ، سابق على الأزمنة والامكنة ، وأن ذاته ، تعالى ، معقولة ، من غير حاجة إلى زمان ولا مكان ، وبطل ما قاله ، من قوله ، فما كان الشئ قبل ذلك ، كما حققناه .

\*\*\*

(٣) فى الأصل : بها .

(٤) فى الأصل : بلى .

(١) التصحيح على الهامش .

(٢) غير موجودة بالأصل .

(٥) فى الأصل : فليزم .

## المسألة الرابعة

قال : هل خلق الزمان قبل ، أم المكان ، أم خلقاً معاً ؟ ..

الجواب : اعلم ، هداك الله وأرشدك ، أن القدرة <sup>(١)</sup> الإلهية ، لا تعجز عن هذه الأمور كلها ، والعقل قاض بجوازها كلها ، وكيف لا ، وهو ؛ تعالى ؛ عالم بالمصلحة فى التقديم والتأخير ، فإليه الأمر ، فى كيفية إيجاد المكونات .

نعم ، الذى دل عليه الشرع ، أن الله خلق الأرض فى يومين ، ثم قال ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ثم إنه دحا الأرض بعد خلقه للسماء ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ <sup>(٣)</sup> قبل خلق هذه الأمكنة العظيمة .

ثم بعد خلقه للسموات والأرضين ، خلق الشمس والقمر والنجوم ، على نعت التسخير والتدبير ، فإذا عرفت هذا ، فإن كان المراد بالزمان المقدر ، فهو سابق بلا أول ، وإن كان المراد بالزمان المحقق ، فهو عبارة عن حركة الشمس ، وغيبوبتها ، فلا شك أنه متأخر عن خلق الأمكنة ، كما أشرنا إليه ؛ لأنه خُلِقَ بعد خلق الأرض والسماء ، كما نبهنا عليه ، فحصل ، من مجموع ما ذكرناه ، أن خلق المكان ، سابق على الزمان ، بالتفصيل الذى أشرنا إليه ، وهذا السؤال ليس وراءه كثير فائدة فى الدين ، ولا يناط به شئ من التكليف .

\* \* \*

## المسألة الخامسة

قال ، فى الشمس والقمر والنجوم : هل خلق الله فيهن حياة ، كما قال بعضهم ، أم هن جماد ؟ وكيف أنها تكون فى جميع البلدان محازية فى جميع الآفاق ، ونحن نراها صغيرة فى رأى العين ؟ .. ما الوجه فى ذلك ، لكبر جرمها ، أو لغير ذلك ؟  
الجواب : إن ما ذكرناه فى هذه المسألة ، مشتمل على سؤالات ثلاثة :-

(٣) سورة النازعات : آية ٣٠ .

(١) فى الأصل : القدر .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٩ .

**السؤال الأول :** هل هذه الأفلاك السبعة أعنى الشمس والقمر وعطارد وزحل ٦٤ ظ / والزهرة والمشتري ، حية أم لا ؟ فقول الذى عليه علماء الإسلام ، أنها جمادات ؛ وأنها مسخرة مدبرة للجرى على حسب مصالح الخلق ، كما أشار إليه الشرع ، فى قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ويستحيل عقلاً أن تكون حية ؛ لأن الشمس بما فيها من الحرارة المفرطة ، تستحيل أن تكون حية كالنار ، وهكذا سائر الكواكب ، فإن فيها من البنية ما يمنع من حصول الحياة ، ثم إن الإجماع منعقد ، من جهة الأمة ، على أنها جمادات مسخرة ، تحت التدبير الإلهى ، والمخالفون فى كونها حية ، الصابئة <sup>(٢)</sup> والمنجمون ، فإنهم زعموا أن هذه الأفلاك حية ، وأنها مدبرة للعالم السفلى ، وأن الله يستحيل أن يكون معبوداً لنا ، وإنما هى تعبد الله ، وهم يعبدونها بزعمهم .

ثم إن مقالتهم فى كونها حية ، لم أقف على حقيقة قولهم ، هل هى فاعلة بالإيجاب ، كما هو رأى الفلاسفة أو هى فاعلة بالاختيار ، فأما الفلاسفة فهم مختلفون فى النفوس الفلكية ، هل هى حية ، أم لا ؟ فبعضهم يزعم أنها حية ، وبعضهم يذهب <sup>(٣)</sup> إلى أنها جماد ، كمقالة أهل الإسلام .

وعلى الجملة فسواء كانت حية أم جماد ، فلا بد لها من فاعل مدبر حكيم ، فإن أقروا به ، فالخلاف بيننا وبينهم يسير بعد ذلك ، وإن كانوا منكرين للصانع ، ويزعمون أنها هى المدبرة للعالم السفلى ، فدلالة الحدوث فيها قائمة ؛ فإن احتاجت إلى محدث ، ومحدثها إلى محدث ، إلى غير غاية تسلسل ، والتسلسل محال . وإن كانت تنتهى إلى قديم مدبر ، فهو الذى نريده ، وبطلت هذه الوسائط بالشرع ، ومن جهة العقل ؛ من جهة أنه لا طريق إليها بحال .

(١) الاعراف : آية ٥٤ .

(٢) فرقة قالت بالروحانيات فى مقابل البشرية النبوية ، ونسبت إلى الروحانيات قوة تصريف الاجسام وتقليب الاجرام ، وقالوا : إنها مبادئ الموجودات ، وإليها المعاد ، وتخصصها بانها كل العلوية مثل زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، وهذه السيارات كالابدان والاشخاص بالنسبة إليها ، ولذلك قال عنهم المسلمون : إنهم عبدة كواكب ، وقال أبو حنيفة : ليسوا بعبدة أوثان ، وإنما بعضهم النجوم كتعظيم المسلمين للكعبة ، ويؤمنون بدين نبي ويقرون بكتاب . ويسميهم التهانوى الصبائية ، ويورد أنهم فرقة من النصارى ويعظمون الكواكب كتعظيم المسلمين الكعبة . والصابئة الأولى هم الذين قالوا بعاديموس وهرمس ، ولم يقولوا بغيرهما من الانبياء ، ويقصدون ( شيت وإدريس ) ، انظر الملل والنحل ٢ / ٣٠٧ ، والقاموس الفلسفى خفى ، ص ٢٧٣ .

(٣) تصحيح من الهامش .

السؤال الثاني : كيف تكون في جميع البلدان محازية في جميع الآفاق ؟ اعلم أن الوجه في ذلك ، هو أن الأرض كرية الشكل ، وأن السماء فوقها كالقبة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾<sup>(١)</sup> فجعل الأرض كالبساط والسماء كالقبة المطيئة ، وجعل الشمس والقمر والنجوم ، جارية في السماء والفلك محيط ، فإذا بدت في أفق المشرق فالخلائق كلهم ينظرونها فيه ، وهكذا حال الاستواء في السماء ، وفي ناحية المغرب على هيئة واحدة ، وإنما يقع التفاوت للخلائق من جهة أن من قرب ، كمن بعد ، لا يختلف حاله بالإضافة إليها ، وما ذلك إلا من أجل سموها وإرتفاعها ، الارتفاع الكلي والبعد المتفاوت ، فلاجل ذلك كان البعد منها كالقريب ، من غير تفاوت ، وإدراك ذلك على حقيقته ، إنما يكون بأدلة هندسية ، وأمور حسابية ، وقد صور المنجمون صورة الفلك .

وقد حكى لنا ، أن أحسن من تكلم فيه صاحب «السراج الوهاج»<sup>(١)</sup> ، ولم أقف عليه مع طلبى له ، ولم أبالغ في طلبه ، إذ لا يتعلق به شئ من أمور الدين ، ولا أمر من أحكام التكليف ، فأعرضنا عنه لقلته جدواه في الدين .

السؤال الثالث : كيف ترى صغيرة في رأى العين وهي كبيرة ؟

فنقول : هذا مبنى على كيفية إدراك المدركات ، والعلماء<sup>(٢)</sup> فيه فرق ثلاث :-

الفرقة الأولى : القائلون بالشعاع ، وهم أصحاب الشيخ أبى هاشم ، فإنهم زعموا ( أن )<sup>(٣)</sup> الإدراك فى المبصرات ، إنما هو ناجز ينفصل من العين الصحيحة ، يتصل بالمدرك يكون كالألة للإدراك فى المبصرات .

الفرقة الثانية : من قال بالانطباع ، وهم الفلاسفة ، ومن علماء الإسلام من ذهب كأبى الحسين البصرى ومحمود الخوارزمى ، فزعم هؤلاء أن المرئى ينطبع فى العين ، ٦٥ و / لكن الشيخ أبى الحسين زعم أنه يتوسط بين المرئى والمرئى ، شكل مخروط

(١) كتاب السراج الوهاج .

(٢) فى الاصل : والعلماء .

(٣) فى صلب الاصل : إلى .

مستدير ، يلى العين ، وواسعة مما يلى المرئى ، فينطبع المرئى فى هذا الشكل المتوسط ، بين العين والمرئى ، ثم ينطبع ( المرئى فى هذا الشكل المتوسط فى العين بعد ذلك ، والفلاسفة زعموا أن المرئى يطبع <sup>(١)</sup> ) فى الحاسة من غير توسط هذا الشكل المخروط .

**الفرقة الثالثة :** أهل الإدراك ، وهم الأشعرية ، فانهم زعموا أن الله ، تعالى ، يخلق فى العين الإدراك وهو معنى يدرك به الرأى .

فهذه أقاويل العلماء فى كيفية الإدراك ؛ فإذا عرفت هذا ، فالوجه فى إدراك الكبير صغيراً ، عند البعد ، مرتب على هذه المذاهب ، فعلى رأى أهل الشعاع يضيق زاويته ، فلهذا تراه صغيراً ، وإن كان كبيراً ، وعلى قول أهل الانطباع بالشكل المخروط ، تضيق زاويته أيضاً ، فتراه صغيراً . وعلى قول من لا يعتبر الشكل المخروط ، يضعف الانطباع ، فترى الكبير صغيراً ، وعلى قول أهل الإدراك ، يخلق الله الإدراك لبعضه دون بعض ، وعلى هذا ترى الشمس صغيرة ، مع كبر حجمها ، تنزل على هذا التنزيل .

وحكى عن بعض الفلاسفة ، أن كوكب الشمس ، حجمه مثل الدنيا خمس وعشرين مرة ، وليس تتعلق بمثل هذه المباحث ، شئ من أحكام الدين ، ولكن الخوض فيه تبخر فى علم الكلام <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

## المسألة السادسة

فى القرآن الكريم ، قلت ، أرشدك الله : قد علمنا الكل أنه كلام الله ، ووحىه وتنزيله ، على نبيه ﷺ ومنع أهل القبلة أن يكون عبارة عنه ، ونحن نجد فيه خطابات وقصص ، مثل قصة أهل الكهف ويوسف وأخوته ، ونوح وقال موسى ، وقال إبراهيم ، وقال يعقوب ، وقال فرعون ، وقالت نمل : يأيتها النمل . فإننا

(١) تكملة هامة من الهامش .

(٢) وهكذا نجد ان علم الكلام لو انفتح على التاصيل للعلوم الدينية وتربية المتعلمين على معرفة المنهج وتطبيقه ؛ لنفع المسلمين نفعاً كبيراً ، يفيدنا فى عصرنا الحالى بدلاً من الجدال فى الغيبيات .

نجد القرآن مشحوناً بهذه القصص الغريبة ، وهل الكلام مما يبقى ويعدم فى الحالة الثانية .

الجواب : اعلم أن هذه المسألة قد اشتملت على مباحث :-

١- البحث الأول فى ماهية الصوت ، زعمت الفلاسفة أن الصوت يحدث من مزج (١) الهواء (٢) المنضغط بين قارع ومقروع ، تضاعفاً بعنف . وحكى عن المعتزلة أن الصوت كيفية يدرك حاسة السمع . وهذا عندنا خطأ من الفريقيين ، فإن المراد بالماهية ، هو الوصول بها إلى معرفة الحقائق الذهنية ، والصوت من أجلى المدركات ، فلا حاجة إلى تعريفه ، والذى ذكره فى التعريف ، إنما هو إشارة إلى كيفية حصوله ، كما زعمت الفلاسفة ، وإلى كيفية إدراكه ، كما زعمته شيوخ المعتزلة ، ومعرفة الماهية أمور ، وأما (ما) ذكره ، فلا حاجة إلى ما قالوه .

٢- البحث الثانى فى سبب حدوثه ، والذى اختاره علماء المعتزلة أن حصوله ، إنما يكون على جهة التولد من الاعتماد ، ثم منهم من اشتراط الحركة ، وبعضهم من لم يشرطها ، وإن وقوعها على الإيجاب ولا تجعل على جهة الابتداء بالقدرة فى محلها ، وإنما يكون حاصلًا بالتولد من الاعتماد ، (فأما من جهة الله ، تعالى ، فهو حاصل بالابتداء والتولد من جهة الاعتماد) (٣) لأن قدرته شاملة لجميع الممكنات ، فلهذا قدر على إيجاده على كلى الوجهين .

ولابد من وجوده فى محل ؛ لاستحالة وجوده لافى محل ، وهل يفتقر محله إلى بنية أم لا ؟ ذهب بعض المعتزلة إلى أنه لابد من بنية فى محله ، واختار عندنا أنه لا يفتقر إلى أمر زائد على محله ، متوحد فى الشجر والحجر والهوى وغير ذلك من المحال .

٣- البحث الثالث فى كيفية إدراكه ، والذى عند المعتزلة وجماهيرهم ، أن إدراكه

(١) فى الأصل : يمزج .

(٢) فى الأصل : الهوى .

(٣) تكررت هذه العبارة فى الأصل ، ولعله سهو من الناسخ .

فى محله ، من غير أن يكون منتقلا ، وحكى عن النظام<sup>(١)</sup> إنه إنما يدرك بانتقاله إلى الصماخ<sup>(٢)</sup> .

وهذا خطأ ، فإن الانتقال لا يجوز على العرض ، والمختار عندنا أن مراده أن إدراكه إنما يكون بانتقال المحل إلى الصماخ ، قلنا : إنه يكون منتقلاً ، فليس ذلك يؤثر عن النظام ، ولعل من سمع هذه المقالة ظن إنه يقول بانتقاله<sup>(٣)</sup> نفسه ، وهو غلط عليه ، وإنما ينتقل محله لا غير .

٤- البحث الرابع : فى بقائه وحدوثه ، حكى عن بعضهم ، إنه باق ، وأن الإدراك إنما يتعلق بحدوثه ، والحق إنه غير باق ، وإنه يعدم فى الحالة الثانية من وجوده ، فأعدامه إنما هو للذات ، والفاعل إنما يقرره بالوجود ، فإذا بطل بأمر الفاعل فيه ، رجع إلى مكان مستحق لذاته ، وهو الإعدام ؛ ولأن الكلام لو كان باقياً ، لبطلت الفائدة ؛ لأن الإفادة إنما تكون متعلقة بوجوده ، حرف عقب حرف ، فلو كانت موجودة معاً ، فى حالة واحدة ، بطلت فائدته لا محالة .

٥- البحث الخامس : فى تباير الحرف والصوت ، وزعم الشيخ أبو على<sup>(٤)</sup> ، أن الحرف مغاير للصوت وأن قولنا : الحمد لله رب العالمين فيه حرف وصوت فالحرف من الله ، تعالى ، والصوت من حمية القارئ ، ولم تحك هذه المقالة عن غيره من المعتزلة ، والمختار أن الحرف هو الصوت ، وأن المرجع بالحروف ليس إلا<sup>(٥)</sup> أصوات مقطعة

(١) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى ، أبو إسحاق النظام : من أئمة المعتزلة ، قال الجاحظ : «الأوائل يقولون فى كل ألف سنة رجل لا نظيره ، فإن صح ذلك ، فابو إسحاق من أولئك» . اطلع على الفلسفات الشرقية والغربية ورد على الثنوية واليونان ، وجادل أهل الأديان ، والملاحدة ، وكان بليغاً شاعراً أديباً ، ألف د / محمد عبد الهادى أبو زيد كتاباً عنه ، توفى سنة (٢٣١هـ = ٨٤٥م) . انظر ترجمته الزركلى : الأعلام ٤٣/١ ، وتاريخ بغداد ٩٧/٦ ، والمسعودى ٣٧١/٦ .

(٢) انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ٩٩/٢ . (٣) فى الأصل زاد : له .

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى : من أئمة المعتزلة ، ورئيس علماء الكلام فى عصره ، وإليه نسبة الطائفة «الجبائية» له مقالات وآراء انفرد بها فى المذهب . توفى سنة (٣٠٣هـ = ٩١٦م) . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ٤٨٠/١ . واللباب ٢٠٨/١ ، وكذا آرائه فى الملل والنحل ٩٠/١ وما بعدها .

(٥) فى الأصل : إلا إلى .

تقطيعاً مخصوصاً ، وأيضا فلو كان الحرف مغايراً للصوت لصح انفصال أحدهما عن الآخر ، فكان يعقل الحروف ، وهذا مما لا وجه له .

٦- البحث السادس : فى النظر فى حال المتكلمية .. اعلم أنه لا خلاف فى وصف الله تعالى بكونه متكلماً ، على معنى أنه فاعل لهذه الأحرف . أما على رأى الأشعرية فلأنه المنزلة لجميع الأفعال كلها ، وأما على رأى المعتزلة والزيدية ؛ فلأننا وإن فعلنا هذه الأحرف ؛ لكنه يُضاف إليه ، على معنى إنه ابتداءً وأنشأه ، فإذا (١) .

لا خلاف أن الله متكلم . مما ذكرناه ، وهو الذى ذهب إليه الزيدية والمعتزلة .

وإنما الخلاف فى أن الله ، تعالى ، هل له بكونه متكلماً حالة هى المتكلمية أم لا ؟ فالذى عليه الزيدية والمعتزلة أنه لا حال له بكونه متكلماً ، وعند الأشعرية أن له ، تعالى ، بكونه متكلماً حال هى المتكلمية ، وزعموا أن شموله لجميع الكلامات ، كشمول العلم لجميع التعلقات .

ولأى شئ يستحق هذه على رأيهم ؟ فبعضهم أنه متكلم لذاته ، والأشعرية أنه ، تعالى ، يستحق لكلام قديم ، والنجارية على أنه ، تعالى ، يستحق لكلام أزلى ، ٦٦ و / والحق عندنا إنه لا معنى لكونه متكلماً إلا فعله لهذه الأحرف ، من غير حاجة إلى أمرورائه ، وتحتته كلام طويل لا حاجة لنا إلى استيفائه .

٧- البحث السابع : فى كلامه ، تعالى ، هل يكون حادثاً أو قديماً ؟

والذى عليه الزيدية والمعتزلة أن الكلام هو هذه الأحرف ، ولا بإشكال فى كونها حادثاً ، لتجددها وانتفائها فى ثانى حالة الوجود ، ولا خلاف بين العقلاء فى كونها حادثاً ، وإنما يحكى الخلاف عن بعض الحنابلة فى كونها قديمة ، وهذه جهالة منهم ، وعدم علم بحقيقة القديم والحادث ، وإنما الخلاف فى الكلام الذى هذه الأحرف عبارة عنه ، فعلى قولهم يكون قديماً كقولهم فى المعانى كلها .

(١) كلام بالهامش من الصعب قرأته .

والمختار عندنا ، تفصيل نشير إليه ، وهو أنا نريد بكونه ، تعالى ، متكلماً ، هو أنه فاعل لهذه الأحرف ، وأنها محدثة ، وأن الكلام له أضافتان :-

**الإضافة الأولى :** إلى من ابتدأه وأنشأه .

**والإضافة الثانية :** إلى من حكاها ، فإذا قال القائل : الحمد لله رب العالمين ، فأضافته إلى الله ، على معنى أنه ابتدأه وأنشأه ، وإضافته إلى الواحد منا ، على معنى أنه أحدثه الآن ، وهكذا قولنا : قفانبك . من ذكرى<sup>(١)</sup> ، له هاتان الإضافتان ، فأما قوله : إن أهل العدل منعوا أن تكون هذه عبارة عن كلام الله ... فإذا عرفت الإضافتان اللتان ذكرناهما في الكلام ، سهل مدرك المسألة ، وسواء قلت : إن هذا الكلام هو عبارة ، أو حكاية ، فلا يضر هذا الإطلاق بعد فهم المقصود .

فأما قوله : إن القرآن مشتمل على القصص عن الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، وعلى حكايات الله ... على معنى أنه فعله وأوجده ، على حسب المصالح ، وحكايات القضايا على حسب ما كانت ، من غير زيادة ولا نقصان ، لحل بالمعنى فيقول : ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾<sup>(٢)</sup> إخباراً عن الماضي ، وقوله ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾<sup>(٣)</sup> إخباراً<sup>(٤)</sup> عن المستقبل ، وهكذا سائر القصص ، فإنها مقولة على ما هي عليه .

وإنما يقع الإشكال ، على رأى من زعم أن كلام الله ، تعالى ، قديم أزلى ، كما يحكى الأشعرية والنجارية ، فنقول : إذا كان قديماً ، فكيف يعقل قوله<sup>(٥)</sup> : قال فرعون ، وقال نوح ، إلى غير ذلك من القصص الحادثة؟! ..

فهو إذا كان قديماً ، لم يعقل أن يكون خطاباً في الماضي ، ولا في المستقبل ، ولهم في الكلام<sup>(٦)</sup> ، كلام طويل .

وأكثر ما وجهه المعتزلة عليهم من الإلزامات غير لازم ؛ لأن الإلزامات المعتزلة إنما هي

(١) يشير المؤلف إلى مطلع معلقة امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف ، وتمامة :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) سورة يس : آية ٤٧ وغيرها .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٤٨ ، وفي الأصل : كفروا .

(٤) في الأصل : اخبار .

(٥) في الأصل : قوله قاله .

(٦) أى في مسألة الكلام .

على أن كلام الله ، تعالى ، هو هذا المتلو في الحاريب ، وليس هذا مذهباً للقوم <sup>(١)</sup> ، وإنما الكلام عندهم صفة قائمة بذاته ، تعالى ، وفي الكلام أسرار دقيقة ، ومن أرادها فليطالعها في كتابنا « النهاية » فإنه يجد فيه ما يشفى ويكفى ، والحمد لله .

\*\*\*

## المسألة السابعة

في الملائكة، عليهم السلام، مم خلقوا؟ إلى آخر ما ذكره

الجواب : هذا السؤال مشتمل على مباحث ثلاثة :-

١- البحث الأول : في كيفية خلقهم ، واعلم أن الملائكة من أعظم المخلوقات ، وقيل : إن خلقهم من الأنوار اللطيفة ، وهم مخالفون لبنى آدم والجن ، فأصل خلقه ٦٦ ظ / بنى آدم من تراب ، وخلق الجن . من مارج من نار ، وماذاك إلا لكرامتهم عند الله وعظم المكانة ، وارتفاع المحل ، فهو <sup>(٢)</sup> أعز الخليقة ، وأعظمهم مكانة ، وأجلهم محلاً ، حملة العرش ، وهم الكروبيون ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، والقدرة الإلهية لا تقصر عن جميع الممكنات العقلية في حقهم ، من الكبر والعظم ، والغرض الوقوف على مسالك الشرع ، فما دل عليه ، قضينا به ، وإلا فالتجويز العقلي حاصل ، وقد قيل : إن جبريل له جناحان ، وأنه ملاء ما بين الخافقين المشرق والمغرب بجناحين ، حين بدأ الرسول بالوحي <sup>(٤)</sup> ، وجاءه على هذه الخلقة ، وقيل أنه حمل مدائن قوم لوط على ريشة من جناحه ، وقيل في بعض الأخبار ، أن الله ملكاً ما بين جنبيه خفقان الطير المسرع خمسمائة عام <sup>(٥)</sup> ، وقد قيل أنه كان يأتي النبي ﷺ على صورة دحية

(١) ينصف المؤلف المتكلمين بعضهم من بعض حيث يلزمون خصومهم ما لا يلزم على .

(٢) في الأصل : فهو سبيل التعنت .

(٣) سورة الحاقة : آية ١٧ .

(٤) انظر البخارى ٦ / ٣٦١ ( كتاب بدء الخلق باب الملائكة ) حديث ( ٢٢٣٨ ) ، ومسلم ٣ / ٣ / ( كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى ، حديث ( ٢٨٠ ، ٢٨٧ ) ، والترمذى ٥ / ٢٤٥ ( كتاب تفسير القرآن ، باب ٦ ) حديث رقم

( ٣٠٦٨ ) ، وكذلك أحمد في مسنده ١ / ٣٢٢ ، ٦ / ٢٣٦ ، ٢٤١ ، والطيالسى ح ( ٣٥٨ و ١٤٠٨ )

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا ﴾

سورة فاطر آية ١ ... أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين

المشرق والمغرب ٣ / ٦٠٠ .

الكلبي<sup>(١)</sup> ونزل يوم بدر علي فرس معه جمع من الملائكة ويوم حنين أيضاً<sup>(٢)</sup> ، وإذا صاروا على شكل خلقه الرجال ، جاز أن يكون لهم أيدي وأرجل ، فهذا لا مانع منه ، إذا دل عليه الشرع ، وأما ما ورد في الخبر انه أتى بماء فنضح به فرجه ، فيحتمل أن يكون جبريل ، أراد نضح فرج نفسه ، لتعليم الرسول ﷺ غسل الفرج ، ويحتمل أن يكون أراد به غسل فرج الرسول ﷺ ليريه أن الاستنجاء مستحب ، أو واجب ، فما هذا حاله لا مانع منه<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

## ٢- البحث الثاني: في بيان تكاليفهم

وهم من أعظم الخلق تكاليف ، لما خصهم الله به من الكرامة وشرائف المنزلة عنده ، وعظم الزلفة لديه ، فقد<sup>(٤)</sup> ما عظم الله من خلقهم ، أن حدهم يصغر من خيفة الله ، تعالى ، حتى يصير كالعصفور ، وترى أنهم سجدوا لا يركعون ، وركوع لا يسجدون ، وقيام لا يقعدون ، وقيل أن أقدامهم قد خرقت الأرض السفلى ، ومنهم صافون لأقدامهم ، ناكسوا رؤسهم ، إعظاماً لجلال الله ، تعالى ، واعترافاً بجلال كبريائه ، مشغولون بالتسبيح والتقديس والتحميد ، وقد قيل : إنه ما من موضع إهاب ، إلا وعليه ملك راکع أو مساجد ، وقيل : إن صرير أقدامهم في الكتابة ، وزجل التسبيح ، تستك منه الأسماع<sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

(١) هو دحية الكلبي بن فروة بن فضالة الكنبي .

(٢) ذكر ابن كثير أن الملائكة قالت مع الصحابة والنبي ببدر ، في تفسير الآية ١٢٤ ، وقال : قال أبو إسحاق البيهقي عن حارث بن مضر ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ، وكان سيماهم أيضاً في نواحي خيولهم رواه ابن أبي حاتم ، وكذا عن ابن عباس .. وقال مكحول : مسومين بالعمائم .. وقال : وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ، ويوم حنين عمائم حمراء .. وذكر : أن الملائكة لم تضرب إلا في يوم بدر ... انظر ١/ ٤٣٢ وانظر ج ٢ / ٣٢٠ ، ٣٢١ في تفسيره لسورة الأنفال آية ٩ وللبخاري باب سماه باب شهود الملائكة بدرًا .

(٣) لم أجد في كتب السنة أن جبريل ، عليه السلام ، علم النبي ﷺ ، الاستنجاء .

(٤) في الأصل : فقد .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ١٩٤ في تفسير آية الأنبياء .

### ٣- البحث الثالث : فى صفاتهم ولهم صفات شريفة .

١- الصفة الأولى العصمة <sup>(١)</sup> ، فاعلم أن الله عصمهم عن مخالفة أمره ونهيه - فلا يخطر ببال أحد منهم المعصية ، كما قال : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> .

٢- الصفة الثانية : إرتفاع مكانهم <sup>(٣)</sup> على كافة الخلق ، وارتفاع منزلتهم عند الله ، تعالى ، حتى لا مكان لأحد عند الله ، تعالى ، مثل مكانهم ولا منزلة مثل منزلتهم : ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ <sup>(٤)</sup> .

٣- الصفة الثالثة <sup>(٥)</sup> : بيان الأفضلية <sup>(٦)</sup> ، فأما فضلهم على الأنبياء ، فلا خلاف فيه من جهة الصدر الأول ، والتابعين ، وتابعيهم ، إلى أن نبغ ابن الجوزى <sup>(٧)</sup> ، وزعم أن أمير المؤمنين أفضل من الملائكة والأنبياء ، وخلافه ساقط لمخالفة الإجماع ، وإنما الخلاف فى فضلهم على الأنبياء ، فمنهم من قال : إنهم أفضل من الأنبياء ، ومنهم من زعم أن الأنبياء أفضل منهم ، والمختار عندنا هو الأول ، ويدل عليه إن الله تعالى ما ذكر للأنبياء وصفاً ، إلا وجعل ما هو أعظم منه ، فى حق الملائكة ، وهذه المسألة ليس وارهها كثير فائدة ، فأعرضنا عن اتساع الكلام فيها <sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

(١) انظر القشيري : اللطائف ١ / ٧٥ - ٧٨ - ٢ / ٤٩٩ .

(٢) سورة التحريم : آية ٦ .

(٣) انظر الأشعري : رسالة أهل الثغر ، ص ٢٧٨ .

(٤) سورة الزمر : آية ٧٥ .

(٥) فى الأصل : الثانية وهو خطأ واضح لعله سهو من الناسخ .

(٦) انظر ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل : ٦٤ / ٤ .

(٧) هو عبد الرحمن بن على بن محمد بن جعفر الجوزى ، القرشى التيمى البغدادي ، أبو الفرج ، ولد سنة ٥٠٨ هـ تقريبا عالم متكلم مؤرخ فقيه ، حنبلى المذهب ، جاهد فى الله وذم البدعة والتطرف وحارب المشبهة وتوفى سنة ٥٩٧ هـ وله مصنفات عديدة فى فنون مختلفة انظر ترجمته فى سير اعلام النبلاء . ج ١ / ١٧٤ من الجزء ١٣ مخطوط . بدار الكتب تحت رقم ١٢١٩٥ ، والوفى بالوفيات ٦ / ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٣٤٣ .

ولا أظن أن هذا رأى لابن الجوزى الذى نعرفه ، لما يتصف به من علم وتحرى ودقة تتعارض مع هذا الرأى الذى يتناسب مع متطرفى الشيعة ، ويحمد للمؤلف وهو شيعى زيدى نبذه للتطرف والغلو فى الإمام على ، كرم الله وجهه .

(٨) انظر شرح العقيدة الطحاوية ، المحققة ، ص ٢٩٧ وما بعدها .

## المسألة الثامنة

### فى أصوات المزامير والطناير، وهذه المعانى من المتكلم

الجواب : هذا السؤال مشتمل على مباحث ثلاثة :

١- البحث الأول : فى كيفية حدوث الأصوات ، وقد قررنا أن حدوثها بالتولد من جهة الاعتماد ، فإذا وضع الرضيع فاه فى العود ، فإن الصوت يتولد عن الاعتماد الحاصل بالنفخ ، فى العود المجوف ، وعلى حسب العيدان ، يختلف حال الأصوات ، وهكذا الأوتار تختلف حال أصواتها ، فصوت القصب ، يخالف صوت الأبريسم ، والشعر ، وله نغمات مخصوصة ، يختلف بحسب اختلاف التوتير والتحريك ، فى الصلابة والرخاوة واللطافة ، وكل الأصوات متولدة عن الاعتماد ، وهل يشترط الحركة فى التولد أم لا ؟ ليس من همنا البحث عنه ، وهو بحثٌ دقيقٌ ، وفيما ذكرناه غنية وكفاية .

٢- البحث الثانى : فى أقسامه ، وله ضروب :-

- الضرب الأول : منها أصوات الكوبات والطبول ، وهى من أعظمها فى الجهارة ، وأشدّها وقعاً .

- الضرب الثانى : الصنوج ، والحرايبات والبوقات ، وهى دُونها فى الجهارة ، وأشدّها وقعاً .

- الضرب الثالث : الدرج والبريط والمزامير والعود الرطب ، والأوتار الموترة بالشعر ، والعصب والإبريسم .

- الضرب الرابع : الطارات والدفوف ، فهذه ضروب الأصوات التى ترتاح النفوس إليها ، وتتعلق بسماعها الأفتدة ، وتحرك الطباع إلى إدراكها ، قد حصرناها وضبطناها ، وتندرج تحتها غيرها ، مما هو لاحق بها ، وللنفوس غرام بها ، وشوق إليها .

البحث الثالث : فى حكمها فى التحريم والإباحة والكراهة والندب ، فهذه مراتب

أربع :-

- المرتبة الأولى فى التحريم ، وهذا نحو أصوات المزامير والأوتار والنعيمات الطيبة والألحان ، فإن ظواهر الشريعة قاضية بتحريمها ؛ لأنها لا تكاد تستعمل ، إلا على اللهو واللعب ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١) .

وفى الحديث : « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الشجر » (٢) وفى حديث آخر : « لست من الدد ولا الدد منى » (٣) .

- المرتبة الثانية ما يقتضى الكراهة ، وهذا نحو ضرب الطبول التى للحرب عند اللهو للحرب ، فإذا استعملت فيما ذكرناه ، كانت مكروهة .

- المرتبة الثالثة ما يقتضى ما يكون مستحباً ، وهذا نحو ضرب الدفوف عند العرسات ، لقوله : ﷺ « اعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالدفوف » (٤) . وفى حديث آخر ( أنه ) جاءت امرأة فقالت : يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف - (بضم الدال وفتحها لغتان) - فقال لها : « فى بنذك » (٥) .  
(فهذا هو حكم الأصوات) .

\*\*\*

(١) سورة لقمان آية ٦ .

(٢) الحديث عن أنس بن مالك ، أخرجه الديلمى فى فردوس الأخبار ٤ / ١٤١ حديث رقم (٤٢٠٤) ، وابن أبى الدنيا ، والبيهقى فى الدر المنثور ٥ / ١٥٩ ، وقال السخاوى .. لا يصح .. وكذا العجلونى فى كشف الخفاء ٢ / ١٠٣ .

(٣) هذا الحديث أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» ٧٨٥ ، والبزار (ج٣ / رقم ٢٤٠٢) ، والطبرانى فى الأوسط (ج١ / رقم ٤١٥) ، والمعقلى (٤ / ٤٢٧) وابن عدى فى «الكامل» (٧ / ٢٦٩٨) ، والدولابى فى «الكنى» (١ / ١٧٩) ، والبيهقى (١٠ / ٢١٧) وهو من مفردات يحيى بن محمد بن قيس عن عمر بن أبى عمرو عن أنس ، وفيه مقال عند أهل العلم الجرح والتعديل ، وهذا الحديث من منكراته ، انظر ما نقله ابن حجر الهيثمى عن الذهبى فى «المجمع» ٨ / ٢٦٦ .

(٤) هذا الحديث له طرق ، وهو ضعيف أخرجه الترمذى ٣ / ٣٩٨ (١٠٨٩) ، والبيهقى ٧ / ٢٩٠ ، ومع ان الترمذى حسنه ، إلا ان البيهقى ضعفه لأن فيه عيسى بن ميمون وهو منكر عند أهل الجرح والتعديل وكذلك طريق خالد بن إلياس ، ضعيف ، وإن صح صدره من حديث عبد الزبير ، انظر ابن ماجه ١ / ٦١١ حديث رقم (١٨٩٥) والحلية ٣ / ٢٦٥ .

(٥) فى سنن أبى داود أن النبى ﷺ دخل على عائشة وعندها جوهرات يضررن بدهف ويغنين فلم ينكر عليهن ٤ / ٢٨٢ حديث رقم (٤٩٢٢) ، والحديث الذى ذكره المؤلف فى صحيح الجامع للترمذى ج٥ / ٥٨٠ (كتاب المناقب ، باب (١٨) ح (٣٦٩٠) .

## المسألة التاسعة

فى المقتول ، ومن اكلته السباع ، واختطفته الطيور ، هل يكون ذلك اختراماً لأجله أم لا ؟

واعلم أن للعلماء فيه مذاهب ثلاثة :-

أولها : إنه لو لم يقتل ، لمات قطعاً ، وإلا كان قاطعاً لأجله ، وهو محال .

وثانيها : إنه كان يعيش قطعاً ، وإلا لم يكن القاتل ظالماً .

وثالثها : تجويز الأمرين جميعاً ، والحجة على ذلك ، هو أن من قطع بكونه يموت قطعاً وبكونه يحيى قطعاً ، فحكم لا دليل عليه ، قوله : إن كان يعيش قطعاً ، قلنا هذا فاسد لا دليل عليه ، فإذا بطل المذهبان لم يبق إلا التوقف على تجويز الأمرين من غير قطع على أحدهما ، وعلينا فى إيراد المذهبين ، إيراد الشك والاحتمال ، فإذا أوردنا الشكوك عليهما ، ثبت ماقلناه ، من التجويز ، وهو المطلوب .

\* \* \*

## المسألة العاشرة

ما حكم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ؟

واعلم أن بذلك يكون على أوجه ثلاثة :

أولها : من ارتكب الكبائر الكفرية ، فهو كافر ، كالردة وعباده غير الله ، وغير ذلك من الكفریات الصريحة .

وثانيها : حال من ارتكب الكبائر الفسقية ، فهو فاسق أيضاً ، وهذا نحو : شرب المسكر والقذف والسرقة .

وثالثها : من خلط طاعات ومعاص ، لا يعلم حالها ، من كفر أو فسق ، فهى غير ضارة بالطاعات ، بل تكون الطاعات مكفرة لما يلحق بها من العقاب ، وإن كانت كبائر فهى محببة لثواب الطاعات ، فإن كان العمل السيئ فسقاً أو كفراً ، أحبط

ثواب الطاعات ، وكان هالكًا ، وإن كان غير كافر ولا فسق ، لم يكن محببًا للطاعات ، بل تكون الطاعات مكفرة له ، ويكون ناجيًا لامحالة ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُوجُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دُونِهِمْ حَقَّ مَالًا مِمَّا حَقَّ عَلَيْهِمْ فَذَلِكَ مِنْ ثَوَابِ الْغَنَى ﴾ (١) فقد نزلت في أبي لبابة (٢) ، وكان قد سدد على حرب الرسول ، فهو ردة ، لا محالة ، لكنه تاب فتاب الله عليه ، بقوله : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ ﴾ (٣) .

الحكم الثالث قوله : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (٤) واعلم أن هذه إشارة إلى الإحباط والتكفير ، ويعنى أن كل من عمل طاعة ، ثم عقبها بمعصية كفرية أو فسقية ، فإنها تحبط ذلك الثواب المستحق على تلك الطاعة ، ومن عمل معصية ثم عقبها بالتوبة ، فإنها تكفر تلك العقوبات المستحقة على تلك المعصية .

فأما الموازنة فيين المتكلمين خلاف ، فالمحكى عن الشيخ أبي على ، إن الأقل يسقط في جنب الأكثر ، ولا يكون للأقل حكم بحال ، والمحكى عن الشيخ أبي هاشم أن الأقل يسقط بمقداره من الأكثر ، من ثواب أو عقاب ، ويستحق الباقي . وفيه بحث دقيق ، يليق استقصاؤه بالكتب الكلامية ، وقد ذكرناه في كتبنا العقلية .

\* \* \*

(١) سورة التوبة : آية ١٠٢ .

(٢) هو أبو لبابة بن عبد المنذر ، صحابى جليل ، شهد الشاهد مع رسول الله وعرف عنه الشجاعة والوفاء ، انظر إسلامه في سيرة ابن هشام ، ص ٦٨٦ ، وكذا قصة انخلاءه من ثلث ماله صدقة ، موطأ مالك ، ص ٢٩٧ ( كتاب النذور والإيمان ، باب جامع الإيمان ) حديث رقم (١٦) .

(٣) سورة التوبة : آية ١٠٢ ، وانظر تفسير الآية في ابن كثير ٢ / ٤٢٣ ، ٤٢٤ وفيها قصة توبته كما يذكرها البخارى .

(٤) سورة هود آية ١١٤ .

نص رسالة  
الجواب القاطع للتمويه عما  
يرد على الحكمة والتنزيه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣٧ و / صلى الله على سيدنا محمد ، وأله وصحبه وسلم

الحمد لله الحكيم ، الذى أطلعنا على معرفة أسرار تنزيله ، ووفقنا لما ألهمنا من تحقيق معانيه اللطيفة ، وأحكام تأويله ، إرغاماً لأنوف المجبرة ، وإتعاساً لجدودهم ، حيث راموا بزعمهم ، الطعن على الحكمة ، للتمويه <sup>(١)</sup> وألوا عن أنفسهم العلم بما يليق لذات الألهية <sup>(٢)</sup> من التنزيه حتى لا مضطع لهم ، لفرط جهلهم بأنبلها ، ولا مستروح لهم ، لإغراقهم فى الزيغ عن إحراز خصالها <sup>(٣)</sup> . بيد أن براهينها واضحة ، وأعلامها لمن وفق لها لائحة .

والصلاة على الموضح لأعلام الهدى ، بعد التباسها والمجلى أنوارها <sup>(٤)</sup> بين البدعة وظلمها بعد انكشافها <sup>(٥)</sup> وعلى آله الطيبين الملحين لشبه الضلال ، والمعروفين لأحزاب الزيغ ، عن يمين وشمال .

١٣٧ ظ / وبعد فحق على من تسربل برد النظار ، / وجرى فى حلقات التحقيق ، وكان خليقاً لمزيد الاستبصار أن يكون همته الذب عما يرد على الدين ، من شبه أهل الزيغ بعلمه ولسانه ، وقوى حججه ، وواضح برهانه ، وبعد كمال الحجة ، يكون دفاعه بسيفه وسنانه ، حتى ينجلى الحق كدم اللبس ، وبصحة المطلوب أوضح من نور الشمس ، خاصة فيما يتعلق بأمر الديانة ، من المسائل الإلهية ، والأسرار الحكمية ، فإنها أحق بمزيد الاعتناء ، وقد لا يختص بنيل تلك الأسرار وإحراز درر مغصّات البحار ، إلا واحد بعد واحد ، وربما قيل : «مهما عظم المطلوب قل المساعد» <sup>(٥)</sup> .

نعم ، وردت علينا آية من كتاب الله ، تعالى ، ممن ينتحل الجبر ويعتزل إليه ، يشيرظاهرها إلى الطعن فى الحكم الإلهية ، ويرمز موردها إلى القدح فى الأفعال الربانية ، بلا جرم حركت علينا هذه الآية قطباً من أسرار الآيات القرآنية ، وهزت الأعطاف ، وهيجت النشاط ، إلى إيضاح الأسرار الخطابية ، فلم تنمالك فى الإسراع

(١) فى الأصل : لتمويه .

(٢) غير مقروءة فى الأصل .

(٣) مثل سائر .

(٤) فى الأصل : لتمويه .

(٥) فى الأصل : الإلاهية .

(٦) فى الأصل : خصلها .

إلى حل مشكلها ، وفتح ما استغلق من مقفلها ، علماً بما يحصلُ فى ذلك من الإطلاع على أسرار كتاب الله ، تعالى ، من اللطائف القريبة ، والمعانى العجيبة ، بالبحث عن غوامضه ، والتنبيه على مزالقة ومداحضة ، التى وقع فيها طوائف ، وضل بسببها فرق ، وما ذاك إلا من أجل الجهل بحسن التأويل ، والبعد عن الإحاطة ، بحقائق التنزيل ، والله درُّ القرآن ، فما أكثر غرائبه ، وأحسن عجائبه : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ (٢١) <sup>(١)</sup> ، ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤٢) <sup>(٢)</sup> . ونحن الآن نورد الآية ، ونوضح الجواب عنها ، بمعونة الله ، تعالى .

قلت ؛ أيها السائل المسترشد : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلًا قَلْبُهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ <sup>(٣)</sup> فظاهر الآية دال على أن الله ، تعالى ، هو المتولى للإغفال ، إغفال قلوب الكفار ، ١٣٨ و / والصارف ، لها عن الإيمان ، فكيف يحسن تعذيبهم على الكفر ، وقد صدهم عن الإيمان وصرفهم عنه ..!!؟

وفى ذلك دلالة على أن الله ، تعالى ، لا يقبح منه قبيح ، هذه الظالمة بعينها ..!!؟ والجواب ، أما قبل الخوض فيما نريده من ذلك ، نورد الآى التى يتعلق بها الجبرية ، فى المطاعن فى الحكمة ، وجملتها أنواع ستة :

## \* مطاعن الجبرية على الحكمة :

### النوع الأول

#### ما يدل على الطبع والختم والغشاوة

وهذا لقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ السُّلَّةُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

(٥) سورة : البقرة آية ٧ .  
(٦) سورة : الحائثية آية ٢٣ .  
(٧) سورة : الشورى آية ٢٤ .  
(٨) سورة : محمد آية ٢٣ .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ (٢١) سورة البروج آية ٢ .  
(٢) سورة : فصلت آية ٤٢ .  
(٣) سورة : الكهف آية ٢٨ .  
(٤) فى الاصل : الظالمة .

## النوع الثاني

### ما يكون من جهة الضلال

كقوله تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

## النوع الثالث

### ما يكون من جهة السد

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

## النوع الرابع

### ما يكون من جهة التزيين

كقوله تعالى : ﴿ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة : الأنعام آية ٤٤ .

(٢) سورة : فصلت آية ٥ .

(٣) سورة : النحل آية ٤ .

(٤) سورة : التوبة آية ٣٧ .

(٥) سورة فاطر : آية ٨ .

(١) سورة : إبراهيم آية ٢٧ .

(٢) سورة : النحل آية ٩٣ .

(٣) سورة : الحاثية آية ٢٣ .

(٤) سورة : الرعد آية ٣٣ .

(٥) سورة : الشورى : آية ٤٤ .

(٦) سورة : يس آية ٩ .

## النوع الخامس

### ما يكون من جهة الاستدراج والإملاء

لقوله تعالى ﴿سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٤) <sup>(١)</sup>؛ وقوله تعالى : ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٤٥) <sup>(٢)</sup>؛ وقوله تعالى : ﴿وَكَايِنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٤٨) <sup>(٣)</sup>.

## النوع السادس

### ما يكون من جهة الإغفال؛

وهى الآية التى أوردها (تعالى) : ﴿وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ (٤) .. إلى غير ذلك من الآيات ، التى يشعر ظاهرها بأن الكفار ، وكل من خالف الرسول ، معذورون ؛ لأجل ما حصل عليهم من الله ، تعالى ، من هذه الموانع التى يتعذر معها التكليف ، ويستحيل معها حصول الإيمان ، وفى هذا دلالة على أن الله ، تعالى ، لا يقبح منه قبيح ؛ لأن حاصل الأمر ، أن الله ، تعالى ، طلب منهم ، ومنعهم من تحصيله ..! ، وفى هذا تكليف ما لا يطاق .

فإذا تقرر هذه القاعدة فنقول :

زعمت طبقات الجبرية عن آخرهم <sup>(٥)</sup> ، من الأشعرية والكلابية والنجارية ، أن هذه الآى - المشتملة على هذه الأنواع الستة - من الطبع والختم ، والتزيين والاستدراج ، والإملاء والإغفال ، متفقتة الدلالة على أن الله ، تعالى ، هو المتولى لهذه الأمور (بقدرته) <sup>(٦)</sup> ، وأن جميع ما حصل منهم من المذاهب الكفرية ، والأفعال المنكرة ، والأقاويل المزورة ، فإنها حاصلة بقدره الله وإرادته ، وأنه ، تعالى ، حال بينه <sup>(٧)</sup> وبين الإيمان ، بما ذكرنا من هذه الأمور ، التى هى مانعة من الإيمان ، بكل حال ، وعن هذا قالوا : إن الله ، تعالى ، لا يقبح منه قبيح ، بل له أن يفعل ما شاء ، ويحكم ما يريد ! .

(٥) فى الاصل : زعمت الطبقات أن الجبرية .

(٦) غير واضحة فى الاصل .

(٧) أي الكافر .

(١) سورة الاعراف : آية ١٨٢ ، والقلم : آية ٤٤ .

(٢) سورة الاعراف : آية ١٨٣ ، والقلم : آية ٤٥ .

(٣) سورة الحج : آية ٤٨ .

(٤) سورة : الكهف آية ٢٨ .

وإذا أردنا <sup>(١)</sup> الكلام عليهم ، فيما أوردوه من هذه الآى ، فَرَضْنَا فى الآىة ، التى عَيَّنَهَا ؛ وهى الإغفال ؛ يكون معتمداً لنا ، وماجرى فيها من الأجوبه ، فهو بعينه جارٍ فى الأنواع الستة ، من غير تفرقة ؛ لاستوائها كلها فى انقداح الشبهة ، فيما ذكروه ، ولنا معهم مقامات خمسة :-

الرد ، والمطالبة ، والتأويل ، والمعارضة ، والإلزام .

## المقام الأول : فى الرد المنهج الأول : من جهة الإجمال

وحاصله أن الحكمة لها إصلان :

١- الأصل الأول : أنه ، تعالى ، عالم كل المعلومات ، كلياتها وجزئياتها ؛ بحيث لا يغيب عن ذاته شئ منها ؛ لأن <sup>(٢)</sup> نسبة ذاته إليها على سواء ، فيجب الإحاطة بها .

١٣٩ و / ٢- والأصل الثانى : أنه تعالى غنى فى ذاته وفى صفاته ، وغنى عن سائر المنافع ؛ لأنها تستحيل على ذاته ، فلا يجوز عليه الحاجة فى حال .

فإذا قام البرهان العقلى ، على صحة هذين الأصلين ، تقرررت قواعد الحكمة ؛ لانا لا نعننى بالحكمة ، إلا أن الله ، تعالى ، لا يفعل شيئاً من القبائح ؛ لتعذر الداعى إليها ، وهى الحاجة ، وخلص الصارف عنها ، وهى العلم بقببحها <sup>(٣)</sup> ، والعلم الضرورى حاصل <sup>(٤)</sup> ؛ لأن كل ما فعل داعيه ، وخلص صارفة ، بأن يستحيل منه الفعل ، لا محالة .

فقد حصل ، من مجموع ما ذكرناه ، تقرير قاعدة الحكمة ، ككل ، (و) <sup>(٥)</sup> ما اعتاص <sup>(٦)</sup> علينا معرفة حسنه من أفعاله ، تعالى ، وكانت العقول قاصرة عن إدراك حسنه ، رددناه إلى هذه القاعدة ، وهى كافية فى العلم بحسنه ، وهذا

(٤) أى بذلك .

(٥) زيادة ليست فى الأصل .

(٦) صعب ، وأعيانا ، وغلب علينا جهله .

(١) فى الأصل : أردنا .

(٢) فى الأصل : لمن .

(٣) فى الأصل : لقبح .

مسلك حسن لا غبار <sup>(١)</sup> عليه ، يرويه أهل الفطانة <sup>(٢)</sup> ، ويتقاعد عن فهمه ، أصحاب البلاد .

وقد رام <sup>(٣)</sup> ابن الخطيب الرازي <sup>(٤)</sup> إبطال هذه القاعدة ، وزعم أن قاعدة الحكمة لا يمكن ثبوتها ، ولا تقريرها إلا بعد الجواب عن هذه الآي ، وبيان وجه الحسن فيها .. !

فإذا كان لا يمكن الجواب عنها ، إلا بالرد إلى الحكمة ، والحكمة لا يتقرر أصلها ، إلا بعد الجواب عن هذه الآي ، أفضى ذلك إلى الدور ، ووقوف أحد الأمرين على الآخر .. !

وعند هذا أظهر التبجح من نفسه ، فظن أنه قد أتى باليد البيضاء ، وقال : إذا أَرعد المعتز لي وأبرق <sup>(٥)</sup> ، فأورد عليه هذا السؤال ، فإنه عن قريب منقطع ما في يده ، ولاياتي <sup>(٦)</sup> بمقنع .

والجواب عما أورده : إنا لا نسلم إفضاؤه إلى الدور ، ولا وقف أحد الأمر على الآخر بما وبيانه :-

إن هذه الآي ، لما اعتاص علينا حملها على ظاهرها ؛ فلا جرم رددناها إلي الحكمة ، والحكمة لا تتوقف على هذه الآي ، ولا على الجواب عنها ، وإنما يتوقف على الأصليين اللذين ذكرناهما ، وابن أحدهما عن الآخر ، وفي هذا بطلان ما زعمه الرازي ، في دعوى وقف أحدهما على الآخر .

فإذن لا وقع لكلامه ، وما حملة على ذلك إلا ولوعه بالجبر ، وشدة وشعفه به ، وفي هذا كفاية في الرد على جهة الإجمال .

(٣) قصد .

(١) عيب ، شبهة ، نقص .

(٢) الذكاء ، الفهم لدقائق الأمور .

(٤) الفخر الرازي (٥٤٤هـ = ١١٥٠م) محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي : الإمام المفسر ، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسب ، أصله من طبرستان ، ويقال له : ابن خطيب الري ، توفي في هراة (٦٠٦هـ / ١٢١٠م) ومن تصانيفه «مفتاح الغيب» ، و«معالم أصول الدين» و«الأربعين» وغيرها ، انظر الزركلي : الاعلام ٦ / ٣١٣ .

(٦) في الاصل : بات .

(٥) مثل سائر .

## المنهج الثاني: تفصيلي

**أنا نقول:** إن تقدير مقالتكم في أن الله ، تعالى ، لا يقبح منه قبيح ، مبنى على بطلان الأحكام العقلية ؛ ولا يضاف إلى العقل حكم أصلاً ، وأنه لا يقضى بحسن ولا قبح ؛ وهذه المقالة فاسدة وباطلة ؛ والمعتمد في بطلانها مسالك ثلاثة :-

١- المسلك الأول : أن القضايا العقلية ، قاضية بحسن الإنصاف والإحسان ، وقبح الإساءة ؛ ونجد تفرقة ضرورية بين المحسن والمسيء ، ونعلم ذلك من حال العقلاء ، بحيث لا يحتاج في ذلك إلى ضرب مثال ، ولا ورود شرع .

ونعلم ذلك من حال الأطفال ، الذين لم يبلغوا حقائق العلم ؛ لأنه يفصل بين أن تعطيه ثمرة ، وبين أن ترميه بحجرًا ، فيستحسن أحدهما ، ويستقبح الآخر ، وما ذاك إلا لأن الفطر العقلية ماضية بحصول التفرقة بينهما .

وعلى الجملة ، إن العلم يقبح القبائح من الظلم والكذب ، وتكليف ما لا يعلم ولا يطاق ، والعلم بحسن المحسنات ، من العدل والإنصاف ، واصطناع المعروف والإحسان ، ضروري لا ينكره إلا مكابر ، ولا يجحده إلا معاند .

لا يقال : كيف يدعون العلم الضروري ، بقبح المقبحات ، وحسن المحسنات ، ومن حق الضروري أن يشترك فيه العقلاء؟! .. والمجبرة على طبقاتهم ينكرون ذلك ، ولا يعترفون به ، وفي ذلك دلالة على أنه غير ضروري .

لا ؛ نقول هذا فاسد ؛ لأنهم لم ينكروا العلم أصلاً ، وإنما وقع اللبس<sup>(١)</sup> عليهم من جهة طريقه ؛ حيث قالوا بأن مستنده العلم والشرع ، ونحن نقول مستنده الشرع والعقل جميعاً ، وهذا لا يبعد وقوع اللبس فيه ؛ لأن الاختلاف في طريقه لا يكون اختلافاً فيه نفسه ، ولهذا فإن الأخبار المتواترة ، العلم بها ضروري ، ولا يقدر فيها ، خلاف الكعبي<sup>(٢)</sup> ، حيث قال : بأنها نظرية .

(١) أي الخلط ، والخطأ .

(٢) هو أبو القاسم : عبد الله أحمد بن محمود الكعبي من بني كعب ، البلخي الخراساني ، أحد أئمة المعتزلة ، وكان رأس طائفة منهم تسمى «الكعبية» وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها . ولد سنة ٢٧٣ وتوفي سنة ٣١٩ هـ ببلخ ، له كتب ، منها «التفسير» و«تأييد مقالة أبي الهزبل» و«قبول الأخبار ومعرفة الرجال - في» اثني عليه التوحدي . . انظر ترجمته في الزركلي : الأعلام ٤ / ٦٥ ، ٦٦ ، والمقريزي ٢ / ٣٤٨ ، ولسان الميزان ٣ / ٢٥٥ .

٢- المسلك الثانى : الدوران العقلى ؛ فإننا نعلم عقلا ، أن كل ضرر خلا عن جلب منفعة ، أو دفع مضرة أو استحقاق ، أن يكون ظلماً قبيحاً ؛ ومتى حصل فيه أحد هذه الوجوه الثلاثة ، فإنه لا يكون قبيحاً .

١٤٠ و / فلما دار القبح على هذه الأوصاف الثلاثة وجوداً وعدمًا ، دل على أنها هى العلة فيه ، والدوران العقلى ، يقتضى حصول العلة لا محالة .

٣- المسلك الثالث : الدوران الوجودى ؛ فإننا نقول : إن الضرر الموجود ، إذا كان موصوفاً بهذه الصفات الثلاثة ؛ أعنى خُلوه عن النفع ، ودفع الضرر والاستحقاق ؛ أن يكون ظلماً قبيحاً لا محالة ، ومتى عدم واحد من هذه الأوصاف ، فإنه لا يكون قبيحاً ، فقد أشعر الدوران الوجودى ، بكونه علة ؛ كما يشعر الدوران العقلى ، بالعلة أيضاً ، فقد استوى فى إفادة التعليل ، كما أشرنا إليه .

وهذان المسلكان ؛ أعنى الثانى والثالث ، هما اللذان يعتمدهما المتكلمون من أصحاب الشيخ أبى هاشم<sup>(١)</sup> فى تقرير الأحكام العقلية بالنظر والاستدلال .

والمختار عندنا ، هو التعويل على المسلك الأول ، من كونه ضرورى ، والدافع له معاند جاحد ، والمنكر له كاذب على نفسه لا محالة .

هذا ما أردنا ذكره فى مقام الرد عليهم

\* \* \*

(١) أبو هاشم المعتزلى ، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، من أبناء أبان مولى عثمان بن عفان ، ولد سنة (٢٤٧هـ / ٨٦١م) ؛ عالم بالكلام ، من كبار المعتزلة وله فرقة سمت بالبهشمية ، جعله ابن المرتضى فى صدر الطبقة التاسعة لعلمه ، وله مصنفات مثل : «الشامل» ، «وتذكرة العالم» ، و«العدة» انظر الزركلى : الأعلام ٤ / ٧ ، وكذلك ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ، ص ٩٤ .

## المقام الثانى: فى المطالبة

وحاصلها أنا نقول لهم : إن مستند هذه الأحكام ؛ أعنى القبح والحسن ، والوجوب بالعقل ؛ (التى) <sup>(١)</sup> أحلتم <sup>(٢)</sup> أن يكون العقل موجباً لها ، فأخبرونا عن مستندها عندكم !؟

فإن قالوا : إن مستندها الشرع وخطابه ، فالقبح هو قول الشارع : لا تفعلوه ، والواجب هو قوله : افعلوه ولا تتركوه ، والمندوب هو قوله : إفعلوه ولا حرج عليكم فى تركه ؛ والمباح هو قوله : إن شئتم فافعلوه ، وإن شئتم فاتركوه ، والمكروه هو قوله : اتركوه ولا حرج عليكم فى فعله .

فحاصل خلافهم ، أن هذه الأحكام المرجح فيه إلى مجرد الخطاب . لاغير ، كما فصلناه .

\* قلنا لهم : هذا فاسد لأمرين :

(١) أما أولاً : فكان يلزم فيمن لا يعرف الشرع ، ألا يعرف هذه الأحكام كالمنكرين للنبوة ، والمعلوم من حالهم أنهم يعلمونها ، كما يعلمها سائر العقلاء .

(٢) وأما ثانياً : فكان يلزم أن هذه الخطابات ، إذا حصلت من جهة الواحد منا ، أن تكون مؤثرة فى هذه الأحكام ؛ والمعلوم خلافه .

- فإن قالوا : النهى إنما يؤثر فى القبح ، إذا كان الناهى قديماً ، والواحد منا محدث ؛ فلهذا لم يكن نهيه مؤثراً فى القبح .

\* قلنا هذا فاسد لأمرين :

١- أما أولاً : فلان النهى إذا كان مقتضياً للقبح ، فإنما يقتضيه لما يرجع إليه من غير حاجة إلى اعتبار صفات الناهى ، التى لا تؤثر فى القبح .

٢- وأما ثانياً : فكان يلزم إذا نهى الواحد منا غلامه ، وفعل الغلام ما نهى عنه ، ألا يكون قبيحاً ؛ والمعلوم خلافه ؛ لأن الناهى ليس قديماً .

(١) ليست فى الأصل .

(٢) فى الأصل : أوحلتم .

- فإن قالوا : إنما أُثِرَ النهى فى القبح ؛ لأن النهى فى نفسه قديم .

\* قلنا : هذا فاسد لأمرين :

١- أما أولاً : فيما أن تعنوا بالقديم من النهى ، الكلام النفسى ، أو الكلام اللسانى .

١ - فإن أردتم الكلام النفسى ، فما أدركنا حقيقته من جهتكم ، ولا أنتم قادرون على تحصيله ، وكفى بالمذهب تهافتاً وفساداً ، أنه لا يطلع على غوره وحقيقته .  
وقد أوردنا هذه المسألة ، فى كتبنا الكلامية ، وأنهيها الكلام عليهم فيها نهايته ، ولم نغادر مضطرباً معنوياً ، إلا ذكرنا .

وأيضاً فإن الكلام النفسى ليس خطاباً ، وإنما هو مختص بالذات ، كسائر الأوصاف الذاتية ، فكيف يكون خطاباً للمكلفين !؟

ب - وإن أردتم الكلام اللسانى ، فهو مؤلف من هذه الأحرف ، والتأليف ينافى القدم .

٢- وأما ثانياً : فلأن النهى من قبيل الأصوات والأحرف المقطعة ، وما هذا حاله فلا يوصف بالقدم .

\* وأيضاً فإن حقيقة القديم ، لا تختص بوقت دون وقت ، فيجب استمرارها فى جميع الأوقات ؛ إذ لا وقت أولى من وقت ؛ والصوت ينتهى فى الوقت الثانى ، وما هذا حاله لا يكون قديماً .

فينحل من مجموع ما ذكرنا :

\* أن النهى لا يكون مستنداً للقبح .

\* وأن الخطاب لا يكون مستنداً للأحكام العقلية .

فهذا ما أوردنا ذكره ، من المطالبة لهم ، فى صحة ما زعموا ، وقد ظهر عجزهم عن ذلك .

\* \* \*

## المقام الثالث: في التأويل

وللعلماء في تأويل هذه الآية ، وغيرها من سائر الآي ، التي بلونهاها طريقتان :-

(الطريقة الأولى طريقة المتكلمين) <sup>(١)</sup>

الطريقة الأولى يسلكها المتكلمون ، وحاصل ما قالوه تأويلات ثلاثة :-

(١) التأويل الأول : هو أن الإغفال <sup>(٢)</sup> في اللغة ، هو ترك الشيء وإهماله ، ومنه قولهم : «خطُّ غفلٍ» ، إذا كان لا نقط فيه ، ومنه الغفلة التي (هي) <sup>(٣)</sup> تترك التحفظ عن الشيء ، فعلى هذا يكون معنى الآية : ﴿وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ <sup>(٤)</sup> ؛ أى : لا تطع من تركنا قلبه خالياً عن ذكرنا ؛ لإعراضه وجحوده واستكباره عن قبول الحق ، ونكوصه عن تصديق الرسول ؛ فلأجل إعراضه وجحده ، وإصراره على باطله ، تَرَكَ ذِكْرِنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وكان سبباً في خلوه قلبه وفراغه .

(٢) التأويل الثانى : أن يكون المراد بقوله أغفلنا : أى لا تطع من صار ذا غفلة عن ذكرنا ، أخذاً من قولهم : «أغذَّ البعير» إذا صار ذا غدَّةٍ ، و «أجدبَ الرجلُ» إذا صار ذا جدبٍ فى ماله ، ومنه قوله : الأمّ ، وأرأب ، إذا صار ذا لؤم وريبة فى لغةٍ .

(٣) التأويل الثالث : أن يكون المراد : أغفلنا ذكره ، أى وجدناه غافلاً ، أخذاً من قولهم : أجدتُ الرجل ؛ إذا وجدته محموداً ، ومنه قول هجرس بن كليب <sup>(٥)</sup> يخاطب بنى سليم <sup>(٦)</sup> .

لله دركم يا بنى سليم  
قاتلناكم فما أجيناكم  
وسألناكم فما أعلناكم  
وها جيناكم فما أفحمناكم <sup>(٧)</sup>

(١) هذا العنوان ليس فى الأصل .

(٢) انظر المعجم الوسيط ج٢ / ٦٦٣ ، مادة : «غفل» .

(٣) ليست فى الأصل .

(٤) سورة : الكهف : آية ٢٨ .

(٥) هجرس بن كليب بن ربيعة التغلبى الوائلى : فارس جاهلى يروى له شعر ، ولد بعد مقتل أبيه : «كليب» الذى كانت بسببه حرب «الموس» بين بكر وتغلب ، وظل يطلب بالشار وقيل قتل جاساً .

انظر ترجمته الزركلى : الأعلام ٨ / ٧٧ ، وكذا الكامل لابن الأثير ١ / ١٩١ - ١٩٢ .

(٦) على الهامس : (قد روى هذا القول لعمر بن معدى كرب الزبيدى ، لبنى سليم ؛ والله أعلم) .

(٧) البيتان :

أى ما وجدناكم على هذه الصفات

وهذه الوجوه الثلاثة عليها التأويل فى هذه الآية <sup>(١)</sup> .

\* فأما ما يحكى عن بعض المتكلمين ، فى تأويل الآية أن المراد بقوله : ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا .. ﴾ <sup>(٢)</sup> ؛ أى حكمنا عليه بالغفلة لما غفل ، فهو بعيدٌ لا يعول عليه فى معانى أفعال ؛ ولا يوجد فى اللغة ؛ وقد حصرها سيبويه <sup>(٣)</sup> فى كتابه ، والزمخشري <sup>(٤)</sup> فى مفصله ، فلم يذكر هذا المعنى فى جملة معانى أفعال ، وهما الأميران فى هذه الصناعة ، والمحركان لقصب السبق منها .

فهذه طريقة المتكلمين فى هذه الآية .

### (الطريقة الثانية لعلماء البيان) <sup>(٥)</sup>

الطريقة الثانية سلكها علماء البيان ، وحاصل ما قالوه هو أن سياق الآية ، يقتضى أن يقال : ولا تطع من كان غافلاً عن ذكرنا . فيكون الإغفال مستنداً إلى العبد ، دون الله ، تعالى .

فنقول : لأى وجه عدل <sup>(٦)</sup> عن هذا السياق ، حتى أضاف <sup>(٧)</sup> الإغفال إلى الله ، تعالى ، وهو غير مستند إليه فى الحقيقة؟! ... وفيه أجوبة ثلاثة :

(١) الجواب الأول : أن يكون هذا من باب المجاز المركب ؛ وتقديره أن يكون الفعل مستنداً إلى من لا يصلح إسناده إليه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ <sup>(٨)</sup> ؛ وليست هى المخرجة ؛ وإنما المخرج هو الله تعالى ؛ (وكقوله

(١) الهادى إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ؛ ٢ / ٢٤٦ - ٢٤٧ .

فى المسألة الثانية والثلاثين ، تحقيق د/ محمد عمارة .

(٢) سورة الكهف : آية ٢٨ .

(٣) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى ، أبو بشر ، الملقب بسيبويه ، إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو ، ولد فى إحدى قرى شيراز ١٤٨ هـ ، وقدم البصرة ولزم الخليل بن أحمد ففاه ، وصنف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» لم يصنع قبله ولا بعده مثله توفى سنة ١٨٠ هـ . انظر ترجمته الزركلى : الأعلام ٥ / ٨١ وكذلك وفيات الأعيان ١ / ٣٨٤ ، وميزان الاعتدال ٢ / ٢٩٤ .

(٤) سبق الترجمة له .

(٥) غير موجود فى الأصل .

(٦) أى رغب عن ، زهد فى .

(٧) يقصد الرازى الأشعري .

(٨) سورة : الزلزلة آية ٢ .

تعالى) (١) : ﴿جَدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ (٢) فاسند الإرادة والانقضاض إليه ، وهما غير مستندين إليه عقلاً ولا شرعاً !..

وهذا باب واسعٌ من علم البيان ، أعنى المجاز المركب ؛ وهو من لطائف علم المعاني وخلاصة أسراره ، وعقيان ذهبه ، وأول من فتح أزهاره بفنون الغرائب ، وفتح أسراره بأسرار العجائب الشيخ العالم النحرير عبد القاهر الجرجاني (٣) فإنه السابق إلى إظهار معانيه ، والمستخرج لقواعده ومبانيه .

فلما كان الإغفال مستنداً إلى الله في ظاهر الآية ، وهو الحقيقة مستنداً إلى العبد ؛ لأجل التجويز بالمجاز المركب .

ومن المجاز المركب قولهم : أحبائى اكتمالى بطلعتك . :

وقولهم : أشاب الصغير وأفنى الكبير كَرُّ الغداة ، ومَرُّ العشى .

وهو كبير الدور عظيم الاستعمال ، فهذا هو الوجه ، فى إضافة الإغفال إلى الله ، تعالى .

(٢) الجواب الثانى : أن يكون من باب الاستعارة ؛ وهو أن الغافل هو العبد ؛ لكن الله ، تعالى أضاف الغفلة إليه ؛ لأنه ، تعالى لما أنعم عليه بضروب من النعمة ، وأرخصى عليه سربال المنة ، فلا جرم كان ذلك سبباً للغفلة ، فاضيف إلى الله ، تعالى ، لما كان فاعلاً لسببها ؛ كما قال تعالى : ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ (٥) .

كما قيل لمن غرق فى السباحة : يداك أوكفا ، وفوك نفع .

(٣) الجواب الثالث : أن يكون إضافة الغفلة من جهة التمثيل ، وتقديره هو أن الله ، تعالى ، لما علم من حاله الكفر والإعراض عن قبول الحق ، والجحدان لما جاء به الرسول ﷺ ، وأنه غير مرجو ، فلاجته لعظم الإصرار ، شُبّه بحال من خُلِق فيه الغفلة ، حتى كان الله ، تعالى ، هو الخالق لها والمتولى لفعالها .

(٤) سورة : إبراهيم آية ٣٦ .

(٥) سورة الأنعام ، والقلم : الآية ١٨٢ ، ٤٤ على التوالى .

(١) غير موجودة فى الأصل .

(٢) سورة : الكهف آية ٧٧ .

(٣) سبق التعريف به .

(٤) الجواب الرابع : إن الله ، تعالى ، لما خذل ، من هذه حاله ، بترك الألفاظ ؛ ١٤٢ و / إما لأن ؛ (اللفظ ، غير واجب على ماختراره ؛ وإما لأنه واجب ، كما هورأى أئمة الزيدية ، وأكثر المعتزلة ؛ لكن لا لطف له فى المعلوم ، أو كان له فى المعلوم ، لكنه لا ينفع به ، فعلى هذا يكون المعنى ؛ «أغفلنا قلبه» : أى خذلناه بترك الألفاظ ، حتى غفل من جهة نفسه ، كما قال تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٤) <sup>(١)</sup> ؛ وكما قال : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (٤٥) <sup>(٢)</sup> فهذه الأوجه كلها جيدة لاغبار عليها .

\*\*\*

### دقيقة

إعلم أن هذه التأويلات كلها ؛ وإن كانت موافقة للحكمة ؛ وفيها خلاص عن شبهات المجبرة ، وخروج عن عهدة ما توهموه ، لكن تعتبر بعد تلك التأويلات حذاراً عن مخالفة أدلة العقول ؛ لأن التأويل - وإن بعد وشط مزاره - فهو قريب ، بالإضافة إلى مخالفة أدلة العقول ، وإنما التأويل الذى يليق فى إعجاز القرآن ، وبيان فصاحته وبلاغته ، والوقوف على جزالته ، هو ما ذكرناه فى الطريقة الثانية عن علماء البيان ، لأنه الأحق والأخلق .

\*\*\*

(١) سورة الانعام والقلم : الآية ١٨٣ ، ٤٥ على التوالي .

## المقام الرابع: في المعارضة

فنقول: إن كان في القرآن ما يدل على أن الطبع، والختم، والسد، والإغفال، ففيه ما يدل على نقيض ما أوردوه، وهو أن الله، تعالى، قد خلق، وبين لهم ما يتقون، ولم يمنعهم عن الإيمان ولا حجزهم عنه، ولا فعل فيهم ما يمنعهم عن إيجاده وتحصيله وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥) ﴿<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>(٣)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾<sup>(٤)</sup>؛ وقوله: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (١٠) ﴿<sup>(٥)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾<sup>(٦)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (١٧) ﴿<sup>(٧)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١٨) ﴿<sup>(٨)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>(٩)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (١٠) ﴿.

فهذه الآيات كلها دالة على أن من أزاح العلل بالهداية، فكيف يتولى الضلال والإغفال، ويختم ويطبّع؟!.. هذا مما تاباه العقول، وتمجّه الأسماع.

١٤٢ ظ / ومما يدل على أن الله، تعالى، لا يفعل القبيح / قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٨) ﴿<sup>(١١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾<sup>(١٢)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾<sup>(١٣)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٨) ﴿<sup>(١٤)</sup>.

وعلى الجملة، فإن القرآن مشحون بالأمر والنهي، ومشمول على الوعد والوعيد، والزجر والتهديد، وهذا كله إنما يتعقل، إذا كان لهم أفعال، فأما إذا لم يكن هناك فعل فلا يتعقل بحال.

(٨) سورة: النور آية ٣٥ .

(٩) سورة الزمر آية ١٨ .

(١٠) سورة: الانعام آية ١٢٥ .

(١١) سورة: النحل آية ١١٨ .

(١٢) سورة: البقرة: آية ١٨٥ .

(١٣) سورة: النساء آية ١٢٣ .

(١٤) سورة: الزلزلة آية ٨ .

(١) في الأصل: نعفر .

(٢) سورة: يونس آية ٢٥ .

(٣) سورة: النحل: آية ٩٣ .

(٤) سورة: الزمر: آية ٣٧ .

(٥) سورة: البلد: آية ١٠ .

(٦) سورة: فصلت آية ١٧ .

(٧) سورة: محمد آية ١٧ .

## المقام الخامس فى الإلزامات

١٤٢ ظ / فى ذكر ما يتوجه عليهم من الإلزامات الشنيعة والسؤالات المفحمة ، على أن الله ، تعالى ، فاعل لكل قبيح ، وأن أفعال العباد كلها ، موجودة بقدرته ؛ وجملة ما نوره من ذلك ، الزامات خمسة ؛ نفضلها بمعونة الله ، تعالى :-

### الإلزام الأول

إذا قلتُم : إن الله ، تعالى ، لا يقبح منه قبيح . فإنه يؤدى إلى إبطال كلام الأنبياء ، وقطع حججهم ، ورد أقوالهم ؛ لأن أفعال العباد ، إذا كانت موجودة بقدره الله ، تعالى ؛ فلاى شئ تكون بعثة الأنبياء ؛ لأن البعثة إنما تكون للأمر والنهى ، ولا يتعلق الأمر والنهى إلا بالفعل ؛ ولا فعل هناك على قولهم ، وحاصل هذا الإلزام ، بطلان بعثة الأنبياء ، وقطع حججهم ، وإبطال دعواهم ، وما هذا كمذهب فساداً ..! هذه فائدة . وخلصته ونقاوته <sup>(١)</sup> .

### الإلزام الثانى

أن يؤدى إلى إفحام الرسل وبيانه :

أنكم إذا قلتُم : إنه لا واجب على الله ، تعالى ، وأنه لا يضاف الوجوب على ذاته ، فالنبي إذا وصل إلينا ، وأظهر معجزته ، ولا حرج عليهم فى الإعراض ؛ لأن لا يتوجه عليهم النظر فى المعجزة ، إذ لا واجب فى العقل ؛ لأن الواجبات إنما تعلم بالشرع على قولهم ؛ وقبل النظر فى المعجزة فلا وجوب يعقل !.. وهذا إلزام قاطع لشغبهم ، حاسم للججاجهم ، قاطع لدابرهم ، ولو قاموا عمر الدهر ، ماخرجوا من هذا الإلزام بمخرج مقنع .

نعم لما توجه على فحواهم ، هذا الإلزام ، ورد على النظر منهم ، وأهل ١٤٣ و / الكياسة من حذاقهم <sup>(٢)</sup> كالشيخ عبد الملك الجوينى <sup>(٣)</sup> وتلميذه أبى

(٢) أى نجياتهم .

(١) فى الأصل ونقاوته .

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف محمد الجوينى ، أبو المعالى الجوينى ، الملقب بإمام الحرمين ولد (٤١٩ هـ) =

حامد الغزالي<sup>(١)</sup> ، وابن الخطيب الرازي ، قاموا وقعدوا ، وصوبوا وصعدوا ، وما حصلوا على طائل ، ولكن يرددون عبارات لا حاصل لها ، وهؤلاء هم الرجال فيهم ، والمشار إليهم من بينهم ، بالخدق والفتانة .

### الإلزام الثالث

إذا قالوا : إن الله ، تعالى ، فاعل للقبیح ، فلا فصل بين قبیح وقبیح ، فأی مانع لان يظهر الله المعجزة على الكذابين ..! فعند هذا لا تقع التفرقة بين النبي والساحر ، وهذا يؤدي إلى الشك فى نبوة الأنبياء ، وأنا لا نعلم صدق أحد منهم ؛ ويقتضى بطلان نبوة الأنبياء ..! وكل مذهب أدى إلى<sup>(٢)</sup> شئ من ذلك ، فكافيك بافتضاح آرائه وخزى المنتحلين به .

### الإلزام الرابع

المعلوم ضرورة من دين صاحب الشريعة ؛ صلوات الله عليه ؛ أن أحداً من الخلق لا ينفك من نعمة الله ، تعالى ، سواء كان كافراً أو مؤمناً ، والنعمة لا تكون نعمة ، إلا إذا قصد بها المنعم وجه الإحسان ، وإذا قلت : بأن الله يفعل القبیح ، وجوزتم عليه ذلك ، فأی مانع ألا يقصد بهذه النعم الواصلة إلى الخلق ، وجهاً من الوجوه ، بل يفعلها عبثاً أو يقصد بها وجه الإساءة؟! ..

وهذا يؤدي إلى بطلان الاعتراف بالنعمة ، وسد بابها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾<sup>(٤)</sup> .

= (١٠٢٨) ، وهو عالم شافعى فقيه مفسر متكلم ، وبعد اعلم اصحاب الشافعى فى زمانه ، عاصر الفتنة القشيرية ، توفى سنة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) له مصنفات منها : «الشامل» ، «الإرشاد» ، «اللمع» ، «الكافية فى الجدل» انظر الزركلى : الاعلام ١٦٠/٤ ، والسبكي : الطبقات ٣ / ٢٤٩ .

(١) هو محمد بن محمد الغزالي الطوسى ، أبو حامد حجة الإسلام ولد سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م) : حكيم متكلم فقيه أصولى صوفى ، مشارك فى أنواع من العلوم . له تصانيف كثيرة منها : «إحياء علوم الدين» و«الاقتصاد فى الاعتقاد» و«تهافت الفلاسفة» و«المنقذ من الضلال» وغيرها . انظر كحالة : معجم المؤلفين ٣ / ٦٧١ ، والسبكي : الطبقات ٤ / ١٠١ - ١٨٢ .

(٢) فى الأصل : على .

(٤) سورة إبراهيم ، والنحل : آية ٣٤ ، ١٨ على التوالي .

فلما ورد عليهم هذا الإلزام اعتاص عليهم الجواب عنه ، وتحيلوا فى رده حيلة ، ولم يعترف أحدٌ منهم ؛ إلا ما يحكى عن ابن أبى بشر الأشعري<sup>(١)</sup> ؛ فإنه زعم أن لا نعمة لله ، تعالى ، على الكفار ، لا نعمة الدين ولا نعمة الدنيا . . . ١٠٠  
وهذه وقاحة عظيمة ، وقلة مبالاة بالدين ، وترك الاحتفال بالمرؤة ، وهذه مقالة لا يفوه بها من له مسكة من الدين ، ولا وقر الإسلام فى صدره .

### الإلزام الخامس

إذا جوزتم على الله ، تعالى ، أنه قاعل القبائح ، فأى مانع من تجويز الكذب على ذاته ؟ . . . ١٠١

وإذا جوزنا عليه الكذب ، فلا يمكن الوقوف بشئ من كلامه ، فى جميع الكتب ١٤٣ ظ / المنازلة من السماء كالقرآن ؛ والتوراة والإنجيل والزبور ، فيلزم الشك فى صدق هذه الكتب ، وأنها غيرُ صحيحة .

لا يقال : إنه ، تعالى ، صادق لذاته ، ومن كان صادقاً لذاته ، فإنه لا يجوز عليه الكذب ، كما أن من كان عالماً لذاته ، فإنه لا يجوز عليه الجهل .

لأنا نقول : هذا فاسد لأمرين .

(١) أما أولاً : فلأنه ليس له بكونه صادقاً حالاً ، وإنما المرجع به إلى فعل الصدق ، هذا هو المعقول منه ، دون إثبات الحال فلا برهان عليها .

وأما ما بنا ، قلما ينافى كونه صادقاً لذاته ، كونه كاذباً لذاته ، ونحن نسلم لكم ذلك .

---

(١) هو الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري ، مؤسس المذهب الأشعري ، ولد سنة ٢٧٠ ، وتوفى ٣٢٤ متكلماً ، ومفسراً ، وفقهياً ، ملا مذهبه الآفاق وتبعه خلق كثير فى كل زمان ومكان من مصنفاته : «الإبانة» ، «واللمع» ، «ومقالات الإسلاميين» ، وغيرها كثير ، انظر ترجمته فى تبين كذب المفتري لابن عساكر ص ١٤١ ، ووفيات الاعلام : لابن خلكان ج ١ / ٤١٢ .

(٢) فى الأصل هذه .

(٣) غير واضحة فى الأصل .

فأى مانع إذا كان صادقاً لذاته ، أن يكون كاذباً ؟! .. فهذه الأحرف المتلوة ،  
المتركبة من هذه الأحرف ، وفى ذلك حصول فرضنا .

ولنقتصر على هذا <sup>(١)</sup> القدر من الإلزامات الشنيعة الفاحشة ، والتهكمات  
الوحشية <sup>(٢)</sup> ، ففيه مقنعٌ وكفاية ، فى بيان حزبهم ، وإظهار جهلهم وغيهم .

ومن أرادها باستقصاء ، وأحبها بالبسط ، فليطالعها من كتابنا الملقب « بالشامل »  
فإنه يجد فيه ما يكفى ، يشفى ، والحمد لله رب العالمين .

(تم لى مطالعته ؛ فله الحمد والمن ، وكَفَّ الهمُّ الردى ،

الغنى عن سواه ، الجواب ؛

وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه ، وسلم)

\* \* \*

---

(١) هو أحد كتب الشيخ الكلامية الموسوعية ، هناك نسخة منه مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ميكروفيلم ، ٢١٦٩ ،  
مخطوطات يمنية .